رواية

الأحمر ليس لون الحب

نادية كرومي.

L'amour est une fleure qui pousse au fond du coeur.

الحب هو الوردة التي تنمو في أعماق القلب.

الإهداء

إلى تلك النفوس التي لزالت تعاني من قساوة الحياة.
إلى كل الشعوب المضطهدة التي لزالت تعاني في صمت من وطأ الإستعمار.

إلي أبناء غزة أكتب هذه الفقرات والجمل، علني أعبر عن وجع لزال يعيشه الملايين من أبناء المسلمين بسبب اغتصاب حقوقهم.

الجزء ١

منذ نعومة أظافري لا شيء يهمني غير دراستي أو بالأحرى مستقبلي المهني، كانت الحياة مجرد أوراق فقط في ذاكرتي تتغير ألوانها حسب حاجتي إليها حتى أنني لا أذكر أني رأيت ورقا أحمر، وإذا صادف ورأيته أو رأيت شيء شابهه كالورود وغيرها أسخر كثيرا، خاصة عندما كنت أرى عن كثب زوجا يتبادل الهدايا، كنت حينها أضحك كثيرا لا أعرف لما، ربما بقائي كئيبة طوال الوقت منع عيوني من رؤية لون جميل كاللون الأحمر؛ الذي يجلب السعادة والفرح والأفكار الإيجابية .

*****

كان عالمي مليء بالغموض وكانت السكينة لا تفارقني؛ كنت وحيدة طوال الوقت؛ أتمعن العالم من بعيد وهو سعيد، لكن سرعان ما تحركت الأفكار في عقلي، أحدثت ضجيجا

يشبه صوت المحرك العاطل عن العمل، فصرت أحدث نفسي كثيرا؛ أضحك تارة وتارة أخرى تجرني ريح قوي فأبكي حتى تجف دموعي، لكني كلما فرغت من فعل ذلك حاولت البحث في ذاكرتي عن نسخة تشبهني في تلك التصرفات، يبدو أنه ليس هناك إلا نسخة واحدة من هذه الشخصية التي يدعوها الكل بإسم هدى مراد .

******

لقد اعتدت التفكير بهذه الطريقة، ربما هذا ما جعلني أصل لحد اللحظة إلى الرضى النفسي رغم قسوة الظروف ومرارة العيش في مجتمع حقير يأكل خبز الفقير ويحترم دينار الحقير، رغم كل ذلك لم توقفني المصاعب والعوائق أبدا على إكمال دراستي التي كانت دراسة تستحق قوة في الشخصية وتأملا أكثر في كل شيء له علاقة بعالمنا و بالعالم الخارجي.

لقد كانت دراستي للغة الفرنسية أشبه بالشرب من نهر لونه يشبه لون النهر الذي نشرب منه في العادة، لكن مذاقه مذاق ثاني ، يخاف شاربه ما إن شرب منه اختفى صورة وشكلا وذهب بعيدا.

******

اقتربت أكثر فأكثر أخيرا من حلمي، وصرت أمل الغوص فيه لاكتشاف خبياه، فعملت بجد وكد لأجل معرفة كل شيء عن تلك اللغة التي كانت مرغوبة أكثر في مجتمعاتنا في الجزائر، وصرت أربط ذلك بتاريخ بلدي كلما جلست متأملة علني أجد أجوبة على تساؤلاتي تلك، فكان شغف المعرفة يزيد أكثر فأكثر كلما أمعنت النظر، لكن الحياة كانت تقسو علي أكثر من ذي قبل؛ فالصياد عندما يذهب لاصطياد السمك لابد أن يقاوم كابوس الغرق وإلا فلن يحقق ما جاء من أجله، وهكذا حدث معي أثناء وجودي في الجامعة.

تعلم لغة أجنبية كاللغة الفرنسية في مجتمع عربي مسلم كان أصعب شيء قمت به في حياتي كلها ،لأنني كنت أخاف دائما أن يسلبني ذلك الفضول إلى الوصول إلى تلك الخبايا؛ لباس التوحيد والعروبة والأصالة التي أراد الإستعمار الغاشم خلعها في الماضي من فوق أجساد الجزائرين ليلبسهم بمقابل ذلك لباسا آخر، خطت حروفه بلغة زعموا أنها الفرنسية، ويطعمني خبزا صليبي الديانة، فيموت عندي كل شيء حتى الحياء.

****

لم يكن العمل هدفي المنشود من خلال دراستي تلك مثلما كان يرغب الكثير من الطلبة ، لكني وددت رؤية ما وراء تلك الحروف التي افتخر بها الفرنسيون من غموض، فأرادوا تجريد الجزائرين لغتهم من أجلها ،كنت أتساءل دوما ما إن كانت تلك اللغة امرأة حنون حقا أم عذاب وسجون كما سجلها التاريخ الجزائرين؟

فتساءلت كثيرا، حتى أني في بعض الأحيان شككت في نفسي، فلطالما سألتها : هل أنا أخون بلدي بتعلمي تلك اللغة؟

لكنها كانت تظل صامتة ولم تجبني ولو لمرة، لذلك ضللت صامدة طوال الوقت.

****

وكلما سرحت بعيدا أتأمل ذلك العالم الغريب الذي كنت أجوبه خاصة عندما كنت أدرس في الجامعة رفقة أجناس كثيرة ؛تنتمي إلى قارة واحدة ،لكنها تلفظ نفس الحروف أعني الحروف الفرنسية ،دخلت عالما مليء بالشكوك والغموض ؛لم تكن شكوكي فيما كنت أخذ من ثقافة ومعرفة بقدر ما كانت في النتائج التي حصلت عليها من خلال فعلي ذلك، ففي الأخير أنا مجرد طالبة جزائرية تبحث في تاريخ قد يعتبر عدوا لتاريخها، لكن رغم ذلك أحاول أن أصل إل أعماق تلك الحروف التي أجتهد يوميا على حفظها ،كي أستطيع تحديد ماهيتي في هذا العالم.

هل أنا هدى، الطالبة الجزائرية التي تجتهد يوميا كي تحفظ هذه الحروف الأجنبية ثقافة ودينا؟

أم أنا مجرد خائنة ؛خانت بلدها من أجل تاريخ وثقافة مزيفة، ملطخة بدماء الأبرياء؟

أستطيع الوثوق في نفسي إن حاولت السيطرة عليها، لكني لا أستطيع الوثوق فيما تخبئه تلك الحروف في طياتها من غموض.

*****

لا أعلم لما كلما حدثت فرنسيا رأيت في محياه صورة لجثة أحمد زبانة أو للأمير عبد القادر.... الخ؟
ربما لأني لم أنسى هذه الأشياء أبدا ولو طلب مني ذلك ، أو ربما لأن مسقط رأس أمي كان من معسكر ،التي صنع فيها أبطال كثر تاريخهم في الماضي أمثال الأمير عبد القادر الجزائري، وبلومي، وغيرهم.

لكني رغم ذلك فكرت مليا في مصادقة بعض الطلبة الأجانب الذين كانوا يدرسون معي، رغبة في تعلم تلك

الحروف الأجنبية في كل ما تحمله في طياتها من معنى، التي لم يخطأ أجدادنا بوصفها بالدخيلة .

زاد ارتباطي باللغة الفرنسية بعدما كرست وقتي للتحدث مع تلك المجموعات من الطلبة الأجانب الذين كانوا معظمهم من القارة السمراء والبعض الآخر منهم من فرنسا ، فزدت تشبثا وفضولا للوصول إلى معرفة تلك الثقافة التي تخبئها هذه الأخيرة التي قالت فيها أناتول فرونس :

" la langue francaise est une femme. Et cette femme est si belle, si fière, si modeste, si hardie, si touchante, si voluptueuse, si chaste, si noble, si familière ,folle, sage, qu'on l'aime de toute son âme et quand on est jamais tenter d'être infidèle" .

لعل ذلك ما جعلني أتمعن كل شيء يصدر منهم؛ حديثهم تصرفاتهم ، وطريقة تفكيرهم أيضا، فاندهشت وذهلت إلى أجل وأسمى معنى الذهول.

خاصة عندما كنت أرى تبادلهم لعبيرات الحب أمام أعين الناس ظنا منهم أن ذلك يعني الإنفتاح على العالم الخارجي ، وإهدارهم للمال والشرف، وتمييزهم للفئات البشرية ،واستخدامهم لقانون الغاب؛ الذي كان يصدر أمام أعين الجميع، كلما دخل طالب يرتدي ثيابا رثه ، فانتشرت أساليبهم تلك وتصرفاتهم في مجتمعاتنا ،حتى أصبحت محصورة أكثر بين الدارسين لغتها.

ترى هل تعلم علم ما نجاح؟

نعم هو نجاح.

*****

النجاح مرادف للراحة النفسية التي يشعر بها كل إنسان بعد تحقيقه لهدف ما.

وهل كل من يرتاح نفسيا يرتاح في مكان يتسع لملايين البشر لديهم الحق بالجلوس فيه؟

لا طبعا، فالعلم درجات وتسلقها تواضع وثبات للعقل من الإفلات والسقوط في الخطيئة.

رغم كل شيء قلته عن الفرونكوفينين إلا أني أعترف أني كنت أجدهم عندما كنت أحتاج لهم، رغم أن اختلافنا في الدين كان يثير نوعا من النفور ، إلا إني كنت أميل إلى معرفتهم، ولعل سبب حبي لذلك هو حبهم لمقاسمة المعرفة، التي كانت تغنيهم عن كل شيء .

******

أذكر أني التقيت ذات مرة بصديق لي في أسوار الجامعة؛ بينما كنت أجول مثل الفراشة من مكان إلى مكان أبحث عن شيء يرويني معرفة.

كان أمادو يمشي في فناء الجامعة، يضع سماعته كالمعتاد ويحمل بيديه الطويلتين كتبا، يغني تارة وتارة أخرى يرسل عينيه الكبيرتين صوبي، بينما كنت أمر بجانبه بحثا عن طالب يساعدني في فك شيفرة تلك الحروف التي

لزالت في ذاكرتي قصة غامضة من دون أبطال.

وبينما نحن كذلك حتى اصدمت أجسادنا فجأة، فهممنا في ترتيب أنفسنا ولملمة ما سقط منا.

قال لي في خضم تلك الفوضى:

Moi, c'est Amadou.

Et toi?

*****

نظرت إليه نظرة إعجاب بشخصه البشوش ثم أجبته قائلة:

Je m'appelle Houda.

Enchantée.

أعجبته طريقة حديثي، فابتسم لي ثم قال:

Quel beau nom!

Enchantée, ravi de vous

connaitre Houda.

ابتسم لي ثانية كي يقول لي بطريقته الخاصة أنه ينوي الذهاب إلى مكان ما، فأجبته قائلة:

Merci.

Au revoir.

*****

كانت جذور أمادو من المالي؛ لطالما عانى بلده الكثير من المشاكل السياسية والإقتصادية، لعل ذلك ما أرغمه على البقاء في الجزائر ؛لأجل مواصلة دراسته ورؤية الجهة المشرقة من حياته ،التي ساد فيها الظلام منذ سنوات بسبب أوضاعه المزرية.

كان هذا الأخير يؤمن إيمانا تاما بألوهية المسيح عليه السلام، فكان يحمل بين عنقه سلسالا فضي زينته قلادة

صممت على شكل صليب، ظنا منه أنه بذلك يحمي نفسه من أي مكروه أو يتواصل مع إلاهه، في الأخير تعاليم المسيحية هي أفكاره التي تربى عليها ولن يستطيع تغييرها أبدا.

كانت بشرته السمراء تزداد لمعانا من بعيد، كلما حمل كتيبا بيده و عانق تلك الأوراق بكل ما أوتي من قوة ،لتختفي بين أكمام قميصه العريضة ، التي كان يرتديها مع بناطيل واسعة .

****

كان يجمع بين الصلابة واللين، يستمتع بين الحين والآخر بسماع الموسيقى، وأحيانا بمطالعة كتيب، فقد كان همه الوحيد النجاح بمعدل جيد.

أذكر أني من شدة إعجابي بشخصه، كنت أشاركه بين الحين والآخر المحادثة باللغة الفرنسية، لعل ذلك ما زاد من ثقتي بنفسي

ومن مكتساباتي المعرفية أيضا ؛خاصة في ما كان له علاقة بالأدب الفرنسي .

كنت أحاول طوال الوقت تجنب الأحاديث التي ليس لها علاقة بالمعرفة، لكن أمادو كان جرئ جداً في الحديث، فكنت أستمع إليه باستمرار دون أن أجيبه، لأني كنت أخجل من جرأته تلك، وفي يوم من الأيام ،و بينما كنا ننتظر أمام كلية اللغة الفرنسية في جامعة العفرون، طرح علي سؤالا، كنت أظن من خلاله أنه يريد امتحاني فقط:

******

C'est quoi l'amour à ton avis Houda?

l'amour c'est un fort sentiment d'affection ou d'attachement envers un être vivant ou une chose.

Est-ce que tu crois de touts ça?

Oui, je pense que je crois.

Et si je t'ai dis qu'il y a quelqu'un qu'il a tombé amoureux de toi.

Est ce que tu l'accepte?

Je ne sais pas.

C'est qui ce mec?

ce mec, c'est moi.

Toi!

oui moi et pourquoi tu te trouve

surprise et choquée?

Je ne sais pas.

Alors que dis ton coeur maitenant?

Je ne sais pas.

Il faut que je part.

Au revoir.

A bien tout.

Au revoir ma belle.

****

حملت حقيبتي وانصرفت مسرعة، لا أعرف ماذا حدث لي حين سمعت كلماته ، كنت أود أن أرفض ما قاله لي لكني كنت مترددة نوعا ما، لا أعلم لما، ربما لأني لم أرد جرح

مشاعره حينها.

وفي صباح الغد ذهبت في عجلة من أمري، أرتب أفكاري تارة و تارة أخرى أنظر إلى عقارب ساعتي لحضور محاضرة الأستاذ أمزيان التي كانت تحت عنوان:

l'écriture chez les auteurs

africains.

والتي كانت تتحدث عن أسلوب الكتاب الفرونكفونيين في قارة إفريقيا و أوروبا ؛الذين تميزوا بمواضيعهم الحساسة حول: التمييز العنصري خاصة فيما يتعلق بلون البشرة، التي أخذت مساحة كبيرة في كتب الكثير منهم.

*****

كي يحاولوا الإيجابة على أسئلتهم التالية:

لماذا يضع الكثير من الإفريقيين الكريمة البيضاء لطمس

شخصيتهم ووجودهم إن كانت بشرتهم السمراء سبب كافي لوجودهم بين العامة، وما يميزهم عن غيرهم؟

ومن بين الكتاب الذين نبغوا في طرح ذلك ؛الكاتب الفرنسي الشهير فرونتس فانون الذي اشتهر بكتابه

" paux noir es masks blanc "

الذي تناول فيه موضوع التمييز العنصري، خاصة فيما يتعلق بلون البشرة ؛ التي جعلت الكثير منهم يواجه أكبر المشكلات في حياته بسبب تهميش المجتمع له.

****

فالمشكل لم يكن محصورا فقط في إفريقيا بل كان موجودا أيضا في دول أخرى في قارة أمريكا، حيث اتخذ ألالاف المواطنين الأمريكين ذو البشرة السمراء عبيد لسنوات طويلة

عند أقليات يقال أنها جاءت في القرن الخامس عشر ميلادي بعد اكتشاف قارة أمريكا من دول أروبية وأسوية ؛ تميزت بتمتعها ببشرة بيضاء وبكراهية شديدة وتمييز عنصري تجاه أصحاب البشرة السمراء التي يعتقد الكثيرين أنها كانت ميزة خاصة بسكان أمريكا الأوائل، ليصبح ذلك سببا كافي في تمردهم على هذه السياسات الظالمة، التي لم تسلب فقط حرية المواطن الأصلي في أمريكا بل سلبت حقه في العيش كإنسان أيضا.

*****

حيث كان أجمل كتاب خطته اليد البشرية أنذاك ،وهذا كان سبب كافي في إدخاله في المنهاج الجامعي في كليتنا.

لا أعلم كيف رأيت كلمات أمادوا؟

لكني رغم ذلك حييت جرأته في الإعتراف بطريقة أقل من

يقال عنها أنها عفوية، كنت سأرفضه لولا أني تمالكت نفسي، بينما كنت أحدق في عينيه وفي الجزء العلوي لجسده؛ فجذبتني قلادته الغريبة، وأثار ذلك غضبي ،لا أعرف لما، ربما لأني لا أؤمن بما يمؤمن به، أو ربما لأن ما سلكه من طريق كان فاسدا ،لذلك لم أقبل بعرضه.

رغم أني لا أؤمن بالحب إلا أني أشك أن حديثه قد أثار إعجابي ، ربما لأن كلماته قد وهبتني البعض من الأمل ؛ الذي كان شبه منعدم في حياتي منذ سنوات مضت.

*****

يبدو أننا نعيش تلك التجارب القاسية من حياتنا كي نتعلم كيف نواجه المصاعب ونتأقلم مع عوالمنا المختلفة بشكل جيد، لأن الإختلاف هو سبب وجودنا مع بعضنا البعض ولولا ذلك ما كنا سنتلقي، فالبعض منا ثرثار والبعض الآخر يفضل السكوت.
اختلاف وجهات النظر فينا لم تجعلنا نبتعد عن بعضنا دائما إلا في حالات نادرة ولولا ذلك لما كنا سنحب أو نحب، فعالم الحب عالم شبهت حروفه بريش الطاووس الملونة ، كل جزء منه يتمتع بلون مختلف، لذلك مشاعرنا

نحو الآخر ولو كانت عميقة هي في الوقت ذاته مختلفة أيضا باختلاف وجهات نظرنا نحوه.

كنت أظن أني أبحث في معنى اللغة الفرنسية، لكن وجدتني أراقب وجودي في ذلك العالم الذي علمني كيف أحب الآخر رغم اختلافه عني.

لم يكن هذا العالم الذي كنت موجودة فيه يختلف كثيرا عن عالمي، لكن ما كان يميزه حقا هو استخدام اللون الأحمر ؛كنت أقرأ كل يوم كتبا باللغة الفرنسية كي أعرف القليل عن ثقافة سكانها، الذين أمانوا منذ زمن بعيد بالحب، فرسمو له في مخيلتهم رسومات جميلة أقل ما يقال عنها أنها جنسية أكثر، لم أكن أعرف شيء عن هذا اللون ولا

*****

عن مدى وجوده في مجتماعاتنا لأني كنت أجهل وجوده، ربما لأني لم أؤمن بوجوده في عالمي .

لكن ما أدهشني حين درست اللغة الفرنسية هو أهمية اللون الأحمر في ثقافة الفرنسيين،الذين استخدموه كرمزا جد مهم في الكثير من الأشياء مثل:

العلم الوطني، ملابس الجيش الفرنسي، في أعياد رأس السنة... الخ.

لم أكن أعرف لماذا كنت أرى ذلك غريب لكن ما جعلني أدرك أهمية اللون الأحمر هو كثرة استخدامه في حياتهم، نعم ربما ذلك ما لم أجده في عالمي.

كنت أتساءل دوما عن سبب استخدام هذا للون عند الفرنسيين، رغم وحشتيهم في الماضي وقتلهم لمليون ونصف شهيد، وعن سبب إيمانهم بالحب؟

هل يؤمن بالحب من أمن بقناعة بضرورة قتل أرواح بريئة في الماضي؟

*****

أم أن الحب في نظرهم شيء آخر لا تتدخل فيه السياسات ولا النظريات؟

لا أعلم لماذا كنت أفكر في ذلك كثيرا؟

ولما كان يشد انتباهي ذلك ؟

لكن رغم ذلك إلا أني كنت مؤمنة بنوع واحد من الحب، ألا وهو حب الله؛ إن كان حب الله موجود لماذا لم يذكر في أي كتاب مقدس ارتباطه باللون الأحمر؟

فقد ذكرت ألوان أخرى لها علاقة بالحب الروحي والإلاهي وهي اللون الأبيض والأخضر فقط، رغم أن الإسلام قدس الجهاد واعتبر دم الشهيد شيء عظيم.

ولو ذكر في أي كتاب مقدس استخدام اللون الأحمر في زمن أي نبي أو رسول ، لكان يوم عيد الحب الذي يحتفل به كل سنة معترفا به.

أشك أن الإيمان بالحب كان سبب بحثي المعمق، لكن يبدو أن هذا اللون قد جعلني أنغمس أكثر في ماهيتي أيضا، ترى من أنا؟ إن لم أكن جزءا من هذا العالم الغامض؟ جلست أراقب عن كثب أزواجا من الطلبة يتبادلون الورود والهدايا يوم ١٤ فيبراير، فجذبني ذلك الجمال فلم أرد الإبتعاد عنه.

*****

كنت أريد رؤية مدى اختلافه فقط، لم أرد رؤية ما يخفيه في ثناياه من معنى، فقد كنت مؤمنة بعدم وجود الحب، وإن كان موجودا هل كان سينحصر في لون واحد فقط؟ لماذا يعبر هؤلاء بهذا اللون فقط؟

كانت هذه الأسئلة تأتيني كلما حدقت فيهم ، فكنت أذهب بتفكيري بعيدا، لكن رغم ذلك إلا أني أيقنت مدى صحة فكرتي عن الحب، حين تذكرت النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

كيف أنه لم يعبر ولو لمرة في حياته عن حبه بلون معين أبدا، وكيف أن جل تعابيره كانت محصورة في أخلاقه فقط.

رغم أني لم أكن أؤمن بما يفعل العشاق في عيد الحب، إلا أني كنت أمارس تلك الطقوس على طريقتي، لم يكن يميز حبي شيء؛ لا هدايا ولا ألوان، ولا فلسفة معينة.

كنت أحب أن أتأمل الوجود فقط .

لم أكن أعلم ماذا كان يعني إهداء هدية لحبيب؟

كنت أجهل ذلك، لم أكن أعرف مذاق الحب الذي يؤمنون به، لأن ذلك المذاق بالنسبة لي يذوب مع الأيام رغم جماله، بيد أن الحب الذي

****

كنت أؤمن به لا يميزه لون ولا قيود، يكفي أن تتمعن في أعين الطرف الآخر لتدخله معك إلى عالمك وكأنك تملكه، حينها فقط لا تكون مجبرا على معرفة كم يملك من المال أو ماذا جلب لك قبل مجئه؟

فراحة المحب عند رؤية حبيبه أجمل وأغلى من كل الهدايا التي يراها الجميع أغلى.

أعلم أن الحبيب عليه أفضل الصلاه والسلام، كان يحب أن يهدي المسلم أخيه المسلم .

لكن رغم ذلك إلا أننا أحيانا يكفي أن نعبر عن ذلك

بابتسامة أو بكلمة طيبة، أكيد لأن فلسفة الحب ترتبط بطريقة التعبير عنه فقط، لا بشيء آخر .

أذكر أني كنت أجلس كالعادة في فناء الجامعة، أستحضر ذكريات قديمة محاولة بذلك إلهاء نفسي علني أنجح بإبعاد القليل من الملل عني، فاكون بذلك مرتاحة قليلا ،وبينما أنا كذلك حتى سمعت في خضم تلك الفوضى التى أحدثتها الذكريات في ذاكرتي صوتا ذكوريا جميلا أحسست من خلال سماعي له أنه يزور أذناي لأول مرة؛ تسلل إلى داخلي فأحدث ضجة كبيرة، وفتح أبواب كثيرة، كلما مشى وتقدم ترك أثرا لرجليه وكأنه يريد أن يكون خالدا في داخلي إلى الأبد.

****

كان يمشي في مهل؛ يتمعن كل شيء مثلما تتمعن الأميرة القصر حين تدخله لأول مرة، فكانت تنبعث منه رائحة عطر رجالي جميلة، فهمت من خلالها أن شخصه نادر وفريد.

التفت يمينا وشمالا أبحث عنه وإذا به يقف بجانبي يريد قراءة عنوان الكتاب الذي أحمله بين يداي ، فخرجت حروفه الملتحفة بملائة من خجل:

ذاكرة الجسد

أحلام مستغانمي.

إختيار جيد يا أنستي.

أظن ذلك يا سيدي.

هل أنت متخصصة في هذا

المجال؟

لا

تقصدين أنك هاوية.

جميل.

شكرا لك.

طيب هل يمكنني مقاسمتك

هذا الشغف في القراءة

والمطالعة؟

نعم ولما لا؟

****

طيب، أنا طالب جديد أيضا

في هذا التخصص، أقصد

اللغة العربية.

جميل، سيكون لي الشرف العظيم

بذلك يا سيدي.

طيب ألا عرفتني بنفسك يا سيدي؟

نعم بالتأكيد.

أنا محمد إبراهيم عبد الكبير.

من الصحراء، بالضبط من بسكرة.

تشرفت بمعرفتك يا سيدي.

ماذا عنك؟

أنا هدى مراد من البليدة.

بالضبط من باب السبت.

ماشاءالله ، تشرفت بمعرفتك

سيدتي.

أنا أيضا سيدي.

*****

أخبريني ماذا تفعلين في وقت فراغك؟

هل لديك هواية معينة تماريسينها؟

لا أدري إن كانت هواية أم مجرد فعل فقط.

أحب التأمل والتحديق في الوجود

كثيرا ،أحب أيضا السفر المنفرد

ومطالعة الكتب وسماع موسيقى

العصافير في فصلي

الربيع والخريف واستنشاق الهواء بجانب
بحيرة أو نهر عذب.
أحب ذلك التناغم الذي تحدثه الأوراق في فصل
الخريف حين تتحرك رفقة رياح دافئة.
ما هذا الجمال يا سيدتي؟
أعجبت كثيرا بوصفك لكل شيء.
أنت اختصرت كل شيء بكلمات جميلة
وجمل سرقتني بها في وهلة وأخذتني إلى عالم
آخر؛ عالم لم أكن أستطيع دخوله وأنا وحيد.
مسرور كثيرا بذلك.
لدي نفس الميول، الشيء الوحيد الذي
أختلف فيه عنك هو في كوني
كاتب وشاعر .

*****

بالفطرة، عشقت الكتابة منذ صغري
لأني ولدت بين تلك الرمال الذهبية
،فكنت أكبر شيء فشيء أنقش كل يوم
حرفا على بساطها، تارة أستخدم يداي وتارة
الحجارة فأشكل كلمات وحروف، حتى خطفتني
العادة الجميلة لممارسة فنون أخرى مثل ممارسة الرسم

والكتابة وبذلك ولدت موهبتي، فأصبحت كاتبا، وألفت في مراهقتي وشبابي روايات ودواوين شعرية، وها أنا معك بين أسوار الجامعة أحاول البدئ من جديد في هذه البيئة المختلفة، المميزة بالنسبة لمتأملها.

أحاول سرقة نفسي الضائعة بين الرمال ووضعها بين هذه الأشجار الخضراء علها تستنشق نسيما جديد لم يسبق لها أن استنشقته من قبل.

هذا رائع يا سيدي، أنت حقا فنان.

شكرا لك سيدتي على ثناءك.

لا داعي لشكري، أنا لست أجاملك، أنا أقول الحقيقة فقط.

طيب، أفهمك.

*****

كان حديثي مع محمد حديثا مفعما بالحماس لم أكن أرغب أن ينتهي أبدا، لكني تذكرت أني يجب أن أذهب إلى غرفتي في الإقامة الجامعية كي أرتب بعض الأمور هناك فاعتذرت منه ثم ذهبت في سبيل حالي.

كنت أمل لو فعلت ذلك في وقت استراحتي، لكن

ماذا عساي أن أفعل لم أكن أعلم بمجيء شخص مثله في لحظات تأملي، لقد دخل خلسة من دون استأذان. يبدو أني أعجبت به، وقد راقني كثيرا حديثه ونظراته رغم أني كنت حذرة أكثر في حديثي معه إلا أني كنت أراقب نظراته، وحركات يديه بينما كان يتحدث، كان ذلك يثير إعجابي به أكثر فأكثر، لا أعلم ما أعجبني في شخصه لكن يبدو أني أعجبت بطريقة انتقائه للكلمات وبثقافته، لا أعلم ،كلما أعرفه أنه نجح في إضاءة مكان مظلم في داخلي، كان رائعا بامتياز في كل شيء.

*****

أذكر أني لم أرد التحدث مع أي رجل منذ دخلت للجامعة لأني كنت أخاف كثيرا من الرجال، لم أكن أعرف كيف أتعامل معهم ،لذلك كنت أحاول طوال الوقت أن أبقى بعيدة عن جنس الذكر، لكن محمد أدخلني اليوم ويبدو أني عرفت القليل من مزايا هذا العالم.

لقد أصبح العالم من حولي الآن بسيطا جدا، غير معقد مثلما كان يبدو؛ تحيط به بعض الأشعة المنيرة، تشعر كل من يراها بالراحة والإطمئنان.

هل أعجبت حقا بمحمد؟

أم أن هذا مجرد إعجاب بشخصه؟

يجب أن أفكر في ذلك كي لا أفعل
شيء أندم عليه وأنا في فترات
أحسب أنها أهم كثيرا في حياتي
كدراستي مثلا وتحقيق ما كنت أصبو إليه
دوما قبل اجتيازي لامتحان البكالوريا.
لا أعلم لما حدث معي ذلك الإضطراب الداخلي
حين كلمني محمد، لكني أحاول التحكم في
نفسي الثائرة وذاكرتي الحائرة طوال الوقت
، وفي الوقت ذاته أحاول إسكات أصوات لزالت
تصرخ بداخلي بكلمات غير مفهومة، لا أعلم ماذا كانت،
يبدو أن قاموس المشاعر في داخلي عاد للحياة مجددا.
لكن عودته كانت بطيئة ويلزمها القليل من الوقت
كي تصبح بحال جيدة.

*****

دخلت غرفتي بعد مناقشة طويلة على متن الدرج
دارت بين قلبي وعقلي، كانت عن محمد، كنت أنا فيها
البطلة التي تضيع طريقها في كل مرة تقرر فيها
الذهاب إلى نفس المكان.
كان عقلي خائفا من صداقة محمد، فكان يحاول الرجوع

إلى الوراء دائما، فيذكرني بين الحين والأخر بما حدث لي في الماضي مع أصدقائي الذين شنوا حربا شرسة علي حين دخلت إلي الكلية.

كان أبي يعمل في مصنع الآجور في الماضي، تزوج من أمي وهو ذو السابع عشر من عمره، لم يكن يرفض طلبا لوالديه أبدا، عاش مع أسرته الكبيرة ، لأنهم كانوا يقدسون اللمة، لم يكونو ليفرطوا فيها أبدا، ولو تحت أي ظرف من الظروف.

*****

كانت الأيام تعيد نفسها ونحن في إحدى المنازل البيضاء، التي ميزت أحياء باب السبت، التي كانت تشبه مساكن حي القصبة قليلا، لطالما شعرت فيها بنكهة الثقافة التركية.

كانت ظروف أبي وجدي سيئة قليلا رغم أنهما كانا يجتهدان كثيرا بين الحين والآخر في أعمال شاقة كخدمة الأرض، فجدي لم يكن يحب الجلوس مكتفة اليدين، كان يعشق خدمة الأرض وأشجار الزيتون ، كنا نقطف الزيتون ونحن عصبة، نأكل بعضه والبعض الآخر نصنعه زيتا كي نبيعه، وهكذا كانت تمر علينا أشهر

السنة، ورغم أن أصول أبي كانت أمازيغية إلا أن جدي رباه على حب غيره رغم اختلاف أصوله، فحفظ القرآن كاملا في المسجد وتعلم الثقافة العربية، فأصبحت له القدرة على التواصل مع الجميع، وصار معروفا بين قومه.

فحين دخلت أول مرة إلى الجامعة كنت لزالت التحف ملابسا قديمة، رثة ،كانت قد أهدتني إياها عمتي الصغرى الزهور كي يسعفني الحظ أنا أيضا في مواصلة دراستي .

لم أكن أشكو من انعدام الثقة أبدا في تلك الفترة لكن أصدقائي وزملائي في الكلية حولوا حياتي إلى جحيم لا يطاق .

****

لكني رغم ذلك إلا أني كنت أحاول تمالك نفسي والتفكير في الأمر بروية لأن هدفي كان الحصول على معدلات جيدة.

أذكر أني حين كنت أجلس وحيدة في فناء الجامعة لأجل تناول كتاب كان يأتي محمد بين الحين والآخر لأجل مقاسمتي شغف المطالعة بطريقة شهية.

لم تكن الوحدة لتقرب مني أبدا، كنت محظوظة أكثر بمعرفتي به، لأنه كان رجلا شهما، وخلوقا، حافظا للقرآن

الكريم، مقدرا ومحترما، ومعطاءا، لم تكن الهموم لتأثر عليه أبدا، لأنه كان طلق الوجه وكأن داخله قد سقي من نور إلالاهي.

رغم ما كنت أضمره في قلبي من مشاعر دفينة تجاه محمد إلا أني فضلت السكوت عن الحديث ربما لأني رأيت في سكوتي راحة لا يعرف أهميتها إلا من مر بشعور يشبه شعوري أو بحال تشبه حالي .

لست ضد التعبير عن المشاعر أبدا، لكن العيون حين تحدق في عيون الطرف الآخر إنما هي بصدد إرسال عربون من المشاعر التي لزالت مخزنة بداخل صاحبها حتى وإن لم يتحدث عنها.

*****

أعرف أني بذلك أوذي نفسي التي سقطت شهيدة في أرض غريبة عنها منذ الوهلة الأولى، لكني رغم ذلك قنوعة بما فعلت لأني أؤمن إيمانا قاطعا أن لكل منا فلسفته الخاصة في الحب، يستطيع من خلالها التواصل مع الطرف الآخر كي يريه مدى أهميته، ومهما كانت صفتها فهي بالتأكيد استخدمت كوسيلة لأجل التعبير عن ما يجيش في الخاطر من أحاسيس.

جمعت أغراضي كعادتي ونظفت غرفتي وغسلت بعض الأطباق المتسخة التي كانت لزالت تستقبل جمعا غفيرا من الذباب .

كانت الساعة تشير إلى السادسة مساءا، توضأت للصلاة وصليت صلاة المغرب، واطفأت النور ثم اختفيت تحت بطانية بيضاء ثم أشعلت الراديو للإستماع لراديو الجزائر chanal Algerie

ألقيت أذناي كي أستمتع إلى نطق تلك الصحفية للحروف الفرنسية، لعلني أحسن من نطقي لها.

*****

وما هي إلا دقائق حتى وجدتني في غرفة زجاجية ؛ الجدران والأرضية والسرير ؛ كل شيء كان من زجاج ، وبينما أنا كذلك حتى دخل علي شاب أشقر بارق الوجه، بهي الطلة، لا يشبهه أحد في العالم المرئي بشيء التفت ورائي فرأى أن السرير قد أوشك على التحطم فوضع قدمه على مؤخرة السرير فعاد سيرته الأولى ، فذهلت لفعله تلك، بينما كان هو الآخر يمارس طقوس السكوت طوال الوقت؛ لم يكلمني حتى ولم يخبرني عن شيء، وفجأة غادر في خضم تلك الفوضى وتركني أحدق إلى نفسي تارة وتارة أخرى أحدق بذهول كبير في وجوه

أصدقائي ، التي كانت تظهر لي في مرأة الأرضية الزجاجية.
أعجبني ذلك المنظر، فاستيقظت في الصباح أتساءل عن معنى ذلك الحلم الذي ظل عالقا بذاكرتي، وسألت إحدى الفتايات التي كانت تشاركني السكن، كانت تدعى سندس، فقالت لي:
هذه رؤية توحي بأن لله سيهبك رزقا أو علما في المستقبل إن شاء لله والله أعلم وأدرى يا أختي.

****

لا أعلم ما كان في عقلي من أفكار عن ذلك العالم ، لكن أظن أني من شدة حبي للشفافية والبياض والصفاء، وربما عدم إيماني باللون الأحمر ضللت أرى تلك الألوان باستمرار، نحن لسنا مجبرين أن نجعل مخيلتنا تعج بالألوان كي نعبر عن مشاعرنا ، أظن أننا حين نشعر بالعجز من فعل ذلك نلجأ لاستخدام الألوان والأشياء ، ربما لذلك نفشل فشل ذريعا أمام من نحب منذ الوهلة الأولى ولعلى ذلك ما جعل الكثيرين يفشلون في علاقاتهم.

أعلم أن الحديث عن الألوان شيء رائع جدا، وقد يجذب صاحبه وينسيه حاله وهويته أيضا، لأن الإنسان مؤمن بوجود ذلك بالفطرة لأنه ولد لأول مرة في كنف الطبيعة ، لذلك نجد اختلافه في لون البشرة وفي لون العيون وفي لون الشعر، وفي لون الشفاه، وفي كل شيء حتى أن أسنانه تصطع من بعيد كلما ابتسم، فالألوان شيء مهم في حياته، لكني لزالت مترددة قليلا، لا أعلم ما حدث لي حين التقيت بمحمد، لزالت أصارع نفسي المحتارة رغم اقتناعي بوجود مشاعر تجاهه.

****

كانت تزورني أفكار غريبة بينما كنت أرتشف فنجان القهوة الصباحي، النصف الأكبر منها عن محمد والنصف المتبقى عن إيماني بالحب..

لكني رغم ذلك إلا أني خلصت أخيرا إلى فكرة ويبدو أنها ستكون حلا لمشاكلي.

ارتديت ثيابي الشتوية وحملت حقيبتي ثم ذهبت في حال سبيلي، أبتسم تارة وتارة تزورني ريح قوي فأشعر ببرد نفسي مفاجأ لعله مرض انعدام ثقتي بنفسي.

لا أدري ماذا يحدث لي الآن؟ هل هو انعدام ثقة أم انفصام في الشخصية؟ أشعر أنني سأتقمص شخصية

جديدة اليوم ، وقد يدخل محمد حين يراها إلى العناية المركزة ، لكن رغم ذلك إلا أني أراها تطورا ملحوظا وانفتاحا على العالم الخارجي.

كانت رجلاي ترتجفاني وفي كل رجفة تنطقان إسمه: محمد، محمد، محمد..

ماذا حدث لي، هل أصيبت بنوبة مفاجأة؟

أم أنها فقط أنفلونزا؟

إذا حدث وذهبت إلى الطبيب، ماذا كنت سأقول له؟

يبدو أني لن أستطيع تفسير ما يحدث حتى لنفسي، كيف سأستطيع فعل ذلك إن كنت لا أعرف كيف أعبر عنه؟

*****

حرمت لسنوات طويلة من التعبير عن الحب لأني كنت وحيدة طوال الوقت، لم يكن هناك في عائلتي من كان يحبني ويعبر لي عن حبه، كنت أمكث طوال الوقت في زواية مظلمة لأخرج ما بقى في داخلي من مشاعر حزن وغضب من كل شيء دموع لأنظف قلبي الموجوع .

كان ينبغي علي أن أدون ما كنت أعيش من معاناة على الورق كي لا أصاب بهذه الكأبة التي أشعر بها الآن، لكن ماذا سأفعل إن كنت في تلك الفترة أكره كل شيء حتى الحديث مع الورق، لا أعلم ماذا سأقول لمحمد حين أحدثه عن حياتي وعن ذكرياتي الماضية، هل أكذب عليه لأطمس كل شيء حزين وأعيشه ذكريات ليس لها وجود في عالمي أم أخبره الحقيقة وأعيشه الوجع الذي كنت أعيشه.

رغم أن الكذب حرام إلا أني أحيانا أراه الحل الأمثل في الإبتعاد عن الهموم والأحزان.

****

ألسنا نكذب على أنفسنا حين نبتسم في وجوه الآخرين طوال الوقت؟

ألسنا نكذب حين نخبأ عن الآخرين أننا فاشلين وعاجزين حتى أمام أنفسنا؟

ألسنا نكذب حين نقول نحن لا نخاف من شيء كي نقوي الثقة بأنفسها بينما الحقيقة أننا نخاف من كل شيء مظلم في حياتنا؟

كانت تلك الأصوات تخاطبني بقسوة شديدة لتلقني درسا قاسيا عن الحياة كي لا أطعن ثانية بخنجر في قلبي، وبينما أنا كذلك حتى اصطدم جسدي بجسد آخر، زارتني من خلاله رائحة مسك العود، فدخلت في غيبوبة طويلة أستنشق نسيم السعادة والطمأنينة والحنان والحب، فارتسمت ابتسامة وردية في وجه ذلك الطيف الجميل فبادلته نفس الإبتسامة، وغمرته بنظرة عيون عميقة ،شعرت من خلالها أني أدخل قلبه حافية الرجلين ، كي أمشي مشية طاووس مفتخرة.

******

أردف بين أذناي قائلا:

صباح الخير يا هدى..

كيف حالك يا أميرة؟

فاستيقظت فجأة من غيبوبتي حين سمعت صوته فأجبته قائلة:

صباح الخير يا محمد.

أنا بخير وأنت واش راك؟

نظفت كل شيء فجأة غزل عفيف، وتبسم طفيف، وحملت ذلك الكتيب مثلما تحمل العجوز الرغيف .

ثم حنيت رأسي خجلا، وتحججت كعادتي وذهبت كي أخفي ما بدر مني من فعل، لكن محمد أيقن أني فعلت ذلك كي لا أحدثه فقط، فلحق بي يسألني بينما كنت أعانق تلك الخطوات في خجل :

ماذا هناك يا هدى؟

لا شيء.

متأكدة يا عزيزتي؟

نعم أكيد.

وهل يبدو علي أني أخفي عنك شيء؟

فرضا إن كان هناك ما أخفي، هل يجب علي أن أقول لك كل شيء عني؟

*****

أعتذر يا هدى منك، لست أقصد ذلك. لكني رأيت أنك لست كعادتك، بدوت لي حزينة، خفت أن أكون قد أزعجتك بظهوري المفاجأ.

لا إطمئن، ليس هناك شيء.

حسنا أنا أصدقك الآن.
طيب ألا سمحت لي بمرافقتك
في هذه الخطوات؟
حسنا.
ما عنوان محاضرة اليوم في تخصصك ؟
، يبدو أني سأحضر معك إذا كان مسموحا
لي.
لدي محاضرة سيقدمها أستاذ فرنسي جاء في زيارة
لكليتنا يدعى:
هنري مارتن.
تحت عنوان:
Le français
pour l'object sientifique.
(F.O. S).

******

حسنا ماذا يعني ذلك يا هدى؟
درس اليوم حول استخدمات اللغة
الفرنسية، خاصة في المجال العلمي.

وهذا كان بحث السيد هنري مارتن في الدكتورا في جامعة باريس..
حسنا سأحضر معك اليوم هذا الدرس علني أتعلم القليل منه، ربما أستطيع الحديث معك باللغة الفرنسية، هذا هدفي من ذلك.
طيب هل يترجم الأستاذ ما يقدمه إلى اللغة العربية؟
لا نستخدم الترجمة في تخصصنا يا محمد، هي ممنوعة إلا في حالات استثنيائية .
طيب سأحاول فهم ذلك بطريقتي الخاصة.
هل لديك طريقة في فهم ذلك؟
نعم أحاول فهم حركات يديه وإماءاته كي أعرف ما يريد أن يوصله لي من معنى.

*****

هذا جميل.
أظن أن عقارب الساعة تشير إلى التاسعة تماما، هيا بنا ندخل لقاعة المحاضرات ستكون مليئة بالطلبة وقد لا يكون لنا مكان فارغ نجلس فيه.
طيب، كيف تسمون باللغة اللفرنسية هذا النوع من الدروس؟

conférence.

كنفيرونس.

جيد.

لقد حفظت كلمة جديدة اليوم.

هذا جميل.

دخلت أنا ومحمد لقاعة المحاضرات، فاستقبلنا السيد هنري بابتسامة لطيفة عانقت روحينا فحييناه:

Bonjour monsieur.

vous êtes le bienvenu chez nous.

Oh! merci beaucoup madmeselle.

Ok.

*****

نظر هنري هنا وهناك فلم يرى أحد، فابتسم قائلا:

Nous sommes en Algerie, finalement.

فابتسمنا وأجبناه:

Bienvenu monsieur.

سكت الكل برهة إلا طالبا واحد، كان قد استأذن من هنري ليصعد إلى المصطبة، فلما بلغها أخرج من محفظته علم الجزائر ثم ألقاه بين يدي الأستاذ وقال له:

C'est un cadeau de votre etudiant monsieur pouvez vous l'accepter?

فأجابه السيد هنري في دهشة، تتلعثم الكلمات بين شفتيه ، تختفي دموعه بين عيون نظارته، تلتحف كلماته الأجنبية بملائة من خجل قائلا:

Merci beaucoup, vraiment c'est un grand plaisird'être dans le pays des martirs..

ثم قالها بلغة عربية مكسرة :

بلد الشهداء، بلد مليون ونصف شهيد.

******

كان عمر الطالب الوحيد في فرع اللغة الفرنسية الذي يهتم بهذه القضايا، فقد كان غيورا جدا على بلده، لأنه كان يؤمن بأن الطالب الجزائري إنما هو نسخة طبق الأصل لمن سبقه بيد أن أجداده قد حاربوا لأجل تحرير بلدهم لكن هذا الأخير يحارب الآن لأجل تحرير نفسه من قيود المجتمع، لأنه لزال مقيدا رغم أنه يخال نفسه طوال الوقت حرا .

حين دخل الأستاذ هنري مارتن، شعر هذا الأخير أنه يجب أن يهديه علم الجزائر، كي يظهر له أن الجزائرين فخورين جدا بتلك الراية التي توفيت لأجلها مليون ونصف شهيد إبان فترة الإستعمار، وكي يقول له مرحبا بك على طريقته.

فالجزائري لا يقول كثيرا مرحبا بك للإجنبي ولكنه يرفع رايته أمامه أو يهديه إياها، فالراية هي هويته التي لزال يظهرها أينما ذهب ولو ذهب إلى أخر بقعة في العالم.

****

أقشعر جسد هنري حين لمس بأنامله البيضاء العلم الجزائري، وكأنه تذكر ما فعله أجداده بالجزائر، لم يقل شيء غير كلمة شكرا ، لطمت وجهه بصمة غضب غير طبيعية وكأنما خاطبه صوت في داخله وقال له:

ماذا جاء بك إلى الجزائر؟

كيف ستجيب على اتهامات هؤلاء لك؟

هل ستعتذر نيابة لأجدادك؟

أم أنك ستكتفي بتقديم درس فقط وتعود إلى بلدك؟

تنهد هذا الأخير ثم خرج مستأذنا:

Exucez moi, je revients ok.

ثم استند على جدار في فناء

الجامعة كي يشعل سيجارة

ثم جعل يفكر فيما حدث، فاعتراه

شعور غريب لا يمكنه شرحه، خوف أم خجل

أم غضب؟

لا يريد أن يبدو عليه شيء

فهو في الأخير ضيف وسيغادر لا محالة

،لا يريد لتلاميذته رؤية شيء.

*****

بعد خمس دقائق من التفكير دخل

هنري شاحب الوجه، بنظرات غريبة

ثم أخرج ورقة من محفظته

،كان قد دون عليها درسه الذي كان

سيقدمه، ثم شرع يتحدث بشكل

مسرع جدا، فذهل الجميع لأنهم

لم يفهموا شيء مما قيل

لهم، لأنهم لم يعتادوا ذلك ،فعميد الكلية

أراد من خلال دعوته له أن ينمي
قدراتهم، لكن للأسف لم يستفد أحد
من ذلك لأن هذا الأخير كان يسرع في
شرح درسه .

لم يشعر أحد بالراحة منذ دخل وكأنه كان
يريد إفراغ غضبه في طلبته، لم يحدث شيء
ولم يوجه إليه أحد إتهاما، لكنه شعر
بغضب شديد حين أهدي له علم
الجزائر، لم يبتسم ولم يعبر بطريقة
جيدة.

استغربت من ذلك كثيرا، فجعلت
أفكر في ذلك بفضول كبير

*****

لكني لم أعرف شيء رغم محاولتي تلك
، أنتهى الدرس وخرجنا سويا ندردش
معه باللغة الفرنسية، نحاول سرقة
كلمات منه تكون تفسيرا لما رأيناه
من غضب، لكنه لم يتفوه بكلمة
وكأنه شعر أن الكل ينتظر
منه ذلك.

ودعنا وذهب مسرعا إلى قاعة الأساتذة كي يلقي ما عليه من غضب وقلق على ذلك الكرسي.

فتبعته وجعلت أراقبه من وراء الباب، وإذا به يحمل هاتفه الذكي يريد إجراء مكالمة دولية ،فتح الشاشة وأدخل أعدادا كثيرة ثم أردف يقول:

Bonjour mon ami

comment vas tu?

je vais bien Mart et toi?

je te vois pas dans ces jours?

Je suis un peu fatigué mon ami.

je suis en Algérie.

Quoi ?

*****

Mais pourqouoi tu ne m'a pas dis?

Et pourquoi tu ne ressents pas bien?

Tu sais Jack, je ressents d'une douleure au fond

moncoeur

mais pourquoi?

Il y a un élève qu'il m'a

ouffert le drapeau de son pays.

Tu sais très bien que ça me rappelle

des crimes que je les ai comises

au passé lorsque j'étais militant.

Je suis criminel, criminel

et personne ne peut

me pardonner.

Je pense que je vais être

fou avant de revenir à

mon pays.

*****

أو، ماذا يقول هذا المحتال، لقد كان سفاحا

كيف يستطيع أن يأتي إلى الجزائر ؟

ألم يشعر بالخجل والندم؟

ولولا خوفي من إدارة الجامعة

لكنت شتمته..

كيف يأتوا بسفاح إلى هنا

كي يدرس طلبة؟

لا أعلم حقا كيف استطاع
هذا الرجل أن يدوس بقدميه
الملطختين بالدماء أرض الجزائر
الطاهرة؟
كنت أحدث نفسي بينما كان
هذا الأخير يخبر صاحبه
عما حدث معه وكيف أنه
لم يستطيع مواجهة سكان
الجزائر الذين قتل منهم الكثير
في الماضي.

*****

لأنه أيقن بعد زمن طويل أن ما
قام به كان جريمة ضد الإنسانية
ولم يكن وفاءا وخدمة لوطنه
كان يعض أصابعه ندما.
ولم يكن يقوى على مواجهة
هؤلاء الذين استقبلوه بطبق
من تمر وكوب من حليب.

حاول أن يضبط نفسه ويسيطر عليها لكن دموعه كانت أقوى منه فتهاطلت فجأة على وجهه الشاحب مثل أمطار فجائية ، ولم يقوىٰ على الحديث فخرج مسرعا يحمل حقيبته يريد الإبتعاد فقط عن ذلك المكان الذي ظن أنه لن يفكره بما فعل في الماضي، لكنه رغم تذكر فيه كل شيء فعله ولم يقوى على صد ذالك لأنه كان عاجزا.

****